وظيفة الصوت في بناء الجملة العربية

دراسة وصفية تحليلية

إعداد

د.إيمان عثمان الفكي إبراهيم

الأستاذ المساعد بجامعة القصيم – المملكة العربية السعودية

المستخلص :

تهدف هذه الدراسة إلى تحليل وظيفة الصوت في بناء الجملة العربية، مع التركيز على دور الأصوات الصامتة (الصحيحة)، والصائتة، والتنغيم، والتنوين في تشكيل المعنى والسياق النحوي. تُظهر الدراسة أن الأصوات الصامتة تشكل أساس الكلمات والجمل، بينما تساعد الأصوات الصائتة في التفريق بين المعاني النحوية كالفاعل والمفعول. كما يلعب التنغيم دورًا محوريًا في تحديد معاني الجمل والتفريق بين الجمل الاستفهامية والتقريرية، بينما يعمل التنوين كعلامة فارقة للتفريق بين الزمن الماضي والمستقبل. تعتمد الدراسة على منهج وصفي تحليلي لتوضيح العلاقة الديناميكية بين الأصوات والجملة العربية.

الكلمات المفتاحية:

الصوت في الجملة العربية - الأصوات الصامتة والصائتة -التنغيم والتنوين -بناء الجملة العربية

Abstract:

This study aims to analyze the role of sound in the structure of Arabic sentences, focusing on the functions of consonants (voiceless), vowels, intonation, and nunation in shaping meaning and grammatical context. The study demonstrates that consonants form the foundation of words and sentences, while vowels help differentiate grammatical meanings such as subject and object. Intonation plays a pivotal role in determining sentence meanings and distinguishing between interrogative and declarative sentences, while nunation serves as a distinguishing marker to differentiate between past and future tenses. The study relies on a descriptive and analytical approach to clarify the dynamic relationship between sounds and Arabic sentence structure.

Keywords:

- Sound in Arabic sentences
- Consonants and vowels
- Intonation and nunation
- Arabic sentence structure

المقدمة

دور الأصوات في بناء الجملة العربية موضوع مهم في الدراسات اللغوية العربية؛ لما بينهما من علاقة متبادلة، حيث تعمل الأصوات على تشكيل الجملة العربية، والجملة العربية تعمل على تحديد المعنى والسياق للأصوات. وهي علاقة ديناميكية، حيث يمكن أن تتغير مع تغير السياق والمعنى. مما يجعلها أساسية في البنية، حيث تعمل على تشكيل الكلمات والجمل. وتؤثر على المعنى والسياق في الجملة العربية موضوع الورقة. حيث يمكن أن يتغير المعنى أو السياق بتغيير الأصوات، كما تربط الكلمات في الجملة العربية وتعمل على تشكيل العلاقات بين الكلمات، وتحديد وظيفتها.

وتبدو تلك الوظيفة واضحة عند القيام بالتحليل، والدراسة لهذه العلاقة البنائية بين الأصوات والجملة العربية التي تناولتها الدراسات النحوية مع الوقوف على أهمّ ما توصلت إليه الدراسات الحديثة في توجيه بعض القضايا النحوية ومناقشة ذلك.

ومن هذا المدخل يمكن القول إن الورقة ستركز بالوصف والتحليل على المحددات الوظيفية للأصوات في بناء الجملة وفق المباحث الآتية:

المبحث الأول: وظيفة الأصوات الصامتة في علاقات الجملة.

المبحث الثاني: وظيفة الأصوات الصائتة في علاقات الجملة.

المبحث الثالث: وظيفة التنغيم في تحديد معاني الجمل.

المبحث الرابع: وظيفة التنوين في بناء الجملة.

المبحث الأول: وظيفة الأصوات الصحيحة

وفي البداية لا بد من الوقوف على الدور الذي تقوم به الأصوات اللغوية المختلفة في بناء الكلمات وتشكيلها التي تعدّ لبنة أساسية في بناء الجملة.

ففي العربية نجد أن أصول الكلمات لا تعرف إلا بالأصوات الصحيحة (الصامتة) وأن الحركات القصار أو الطوال تتبع هذه الأصوات الصحيحة للتعبير عن تفرع الأجناس اللغوية المختلفة من تلك الأصول، وأن أصول الكلمات تتمثل بالمادة المعجمية لتلك الكلمات أو هيئات بنائها التي وضعت عليها.

وبهذه الطريقة يمكن اشتقاق عدد من الألفاظ من المادة اللغوية الواحدة وهي تعتبر من أهم الوسائل التي تتبعها العربية في توليد ألفاظها، فعلى سبيل المثال وبناء على ما سبق يمكن أن يولّد من الأصل الثلاثي أو المادة المعجمية الثلاثية صوراً لغوية تعبّر عن الوظائف النحوية المختلفة([1]) ، وذلك نحو :

(ع ل م) التي يمكن أن يشتق منها بإضافة الحركات ما يأتي :

(عِلْم ، عَلِمَ ، عُلِمَ ، عالَم ، عُلوم ، عالِم ، عَليم ، عَلَم) كما أنه من الممكن توليد ألفاظ جديدة عن طريق إضافة أصوات أخرى للمادة الأصلية أو عن طريق تكرار أحد أصولها ، وقد عرفت تلك الأصوات بأحرف الزيادة المتمثلة في (سألتمونيها) وبهذه الطريقة يمكن إنتاج أجناس لغوية أخرى من المادة نفسها ، وذلك عن طريق إلصاق هذه الزوائد في أوائل الكلمات أو وسطها أو آخرها وذلك نحو :

(اعلم ، يعلم ، استعلام ، علاّم ، مَعْلوم ، عِلْمي)

وتدرس هذه الأصوات التي تمثل أحرف الزيادة في المستوى الصرفي تحت عنوان (المورفيمات الصوتية)، وذلك لأن المستويات اللغوية متكاملة ولا توجد حدود فاصلة بينها.

([1]) انظر : ج فندريس : اللغة تعريب عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص –المكتبة الأنجلو مصرية ، القاهرة ط 1950م ، ص 113-114

ومن هنا يتضّح أن التحليل الصوتي الفنولوجي تتحد فيه الفونيمات المكونة للمورفيمات في الجملة ، وفونيمات الصوامت وفونيمات الصوائت عليها ، ويتم في ضوئها تحديد الباب الصرفي الذي ينتمي له المورفيم ومن ثم يتحدد مبنى الكلمة أهي فعل ماضٍ ، أم مضارع ، أم أمر أم هي اسم فاعل أم اسم مفعول ، أم صيغة مبالغة ، وهل هي مفردة أم مثنى أم جمع تكسير ، وهل هي مؤنث أم مذكر ؛ وبهذا تظهر حاجة الكلمات لبعضها في الجملة بما يعرف بالافتقار أو التلازم ، وبموجب العلاقات اللفظية أو المعنوية في التركيب تحدد وظائف الكلمات النحوية وما يراد بها في الجملة، وكل ذلك في إطار ما تحويه الكلمات من دلالات معجمية ترتبط فيما بينها بعلاقات منطقية حقيقية أو مجازية تناسب المقام ويرتضيها العرف اللغوي العام.

المبحث الثاني :وظيفة الأصوات الصائتة في بناء الجملة

تلعب أصوات المدّ العربية بالمغايرة دوراً كبيراً في التفريق بين طائفة من الفصائل اللغوية وذلك على النحو التالي :

1 / تغيير حركة ضمير الفاعل المتصل (تُ) من الضمة إلى الفتحة (تَ) إلى الكسرة (تِ) للدلالة على تنوع الشخص القائم بالفعل من متكلم في (كتبتُ) إلى مخاطب مذكر في (كتبتَ) ومخاطب مؤنث في (كتبتِ).

2 / المغايرة في الحركات بين الفعل المبني للفاعل والفعل المبني للمفعول وذلك مثل:

فَعَل فُعِل، كَتَبَ كُتِبَ ←

فالمغايرة من الفتح إلى الضم، ومن الفتح إلى الكسر في كل من الأفعال الماضية تقتضي في كل حالة مسنداً إليه مغايراً أيضاً.

3 / المغايرة بين المفرد وجمع التكسير وذلك كما في قولك:

جَمَل جِمال، وجِمْل أَحْمَال، وحمار حَمير ←

4 / المغايرة في حركات الإعراب القصيرة بين الرفع بالضمة في مقابل النصب بالفتحة والجر بالكسرة، فالفاعل يغاير المفعول في حركة آخره وكذلك يغاير المضاف إليه ([1]).

كما أن هنالك مغايرة في حركات الإعراب بين الحركات الطويلة وذلك كما في :

أ / المغايرة التي نجدها في إعراب جمع المذكر السالم بين الرفع بالضمة الطويلة في مقابل النصب والجر بالكسرة الطويلة .

ب / المغايرة التي نجدها في إعراب المثنى بين الرفع بالحركة الطويلة في مقابل النصب والجر بالكسرة الطويلة .

ج / المغايرة التي نجدها في إعراب الأسماء الستة بين الرفع بالضمة الطويلة في مقابل النصب بالفتحة الطويلة والجر بالكسرة الطويلة .

([1]) انظر : فاضل غالب المطلبي – في الأصوات اللغوية (دراسة في أصوات المد العربية) دار الحرية للطباعة – بغداد ط 1984م

كما أن للحركات دوراً في كيفية إعراب الأسماء المبنية وذلك كما في :

أ / اسم الإشارة (ذا) الذي يتكون صوتياً من (ذ + - -) = (ص+ ح ح) فهو ينتهي بفتحة طويلة يكون مبنياً عليها، وعليه فإن إعرابه في مثل قوله تعالى : (إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ)([1]) .

فإن (ذا) من قوله (هذا) تعرب على أنها اسم إشارة مبني على الحركة الطويلة في محل نصب اسم إن ، ولا يقال فيه كما قال النحاة إنّه مبني على السكون وذلك لأن الحركة تعاقب السكون .

ب / اسم الموصول (الذي) يتكون صوتياً من (ء+ل+ل +- +ذ + -+-) = (ء – ل / ل - / ذ - -) = (ص ح ص / ص ح / ص ح ح) وهو ينتهي بحركة طويلة وعليه فإن إعرابه في قولهم :

رأيت الذي فاز بالجائزة ، يكون على أنه مفعول به مبني على الكسرة الطويلة في محل نصب([2]) .

وذلك ينطبق على جميع الأسماء المبنية التي تنتهي بحركة طويلة .

كما أنّ إعراب هذه الأسماء المبنية على الحركات الطويلة قد يختصر للبناء على الحركات القصيرة وذلك لعوارض صوتية تتعلق بالنظام المقطعي للغة العربية ، ويمكن توضيح ذلك بالأمثلة التالية :

أ / هذا الولدُ مجتهدٌ

والشاهد فيه في إعراب (هذا) إذ إنّ

ها : أداة تنبيه

ذا : اسم إشارة مبني على الفتح الطويل المتحقق كتابة لا نطقاً في محل رفع مبتدأ

فقد اختصرت الفتحة الطويلة في الإعراب لتجنب الثقل الذي ينجم عن وقوع مقطع من النوع الرابع (ص ح ح ص) في وسط الجملة ، ويتضح ذلك بالتحليل التالي :

أ / هذا الولد = ها + ذال + وَ + لَ + دُ

([1]) سورة الواقعة الاية 95

([2]) انظر : حازم علي كمال الدين ، دراسة في علم الأصوات ، مكتبة الاداب –ط1 – 1420هـ –1999م ، ص 278

ص ح ح + ص ح ص + ص ح + ص ح +ص ح

= (ص ح ح / ص ح ح ص / ص ح / ص ح /ص ح)

ب / هاذلولد = ها +ذل + وَ+ لَ + دُ

ص ح ح + ص ح ص + ص ح+ ص ح+ ص ح

= (ص ح ح / ص ح ص / ص ح / ص ح / ص ح)

وبالنظر للمثالين السابقين نلاحظ أن المقطع / ص ح ح ص / اختصر إلى / ص ح ص / وذلك لتجنب الثقل في وسط الجملة

وما جاء في التحليل السابق يمكن أن ينطبق على المثال التالي :

جاء الذي انتصر

فإن الجملة بدون اختصار الحركة تكون على النحو التالي :

جاء الذي انتصر (جا / ء ل / ل/ ذين / تَ / ص /ر) ←

(ص ح ح / ص ح ص / /ص ح/ ص ح ح ص / ص ح / ص ح / ص ح)

وأن باختصار الحركة تكون الجملة على النحو التالي :

جاءلذنتصر([1]) (جا /ء ل / ل /ذن / ت / ص / ر) ←

(ص ح ح / ص ح ص / ص ح / ص ح ص / ص ح / ص ح / ص ح)

وهذا الاختصار المقطعي يمكن تطبيقه على كل اسم مبني على الحركة الطويلة عندما يأتي في مثل هذا الموضع .

وللحركات الطويلة دور في إعراب الاسم المقصور (وهو ما كان آخره ألف لازمة) والنحويون يقدرون عليه حركات الإعراب ، وليس الأمر كذلك إذ من الممكن أن يلحق بالأسماء المبنية للزومه حالة واحدة في التراكيب المختلفة ، ويكون بناؤه على الألف([1]) .

([1])انظر : حازم علي كمال الدين ، دراسة في علم الأصوات ص 283-284

ومن جهة أخرى فإن للحركات أثراً في إعراب الفعل المضارع معتل الآخر في حالة الجزم .

فقد أجمع النحاة على أن حروف العلة في الفعل المضارع نحو :

(يخشى ، ويغزو ، ويرمي) تحذف عند وجود الجازم

والواقع أن هذه الحروف (وهي حروف مدّ) لا تحذف كلياً وإنما تقصّر لحركة واحدة ، يقول عنها النحاة إنها دليل على الحرف المحذوف ، وهي في واقع الأمر ليست دليلاً عليه وإنما هي جزء منه .

وعليه فإن إعراب هذه الأفعال في حالة الجزم يكون بتقصير الحركة الطويلة([2]) وعلى سبيل المثال فإن الفعل (تسعَ) في جملة (لم تسعَ فاطمة إلى الشر) يعرب على أنه مجزوم بلم وعلامة جزمه تقصير الحركة الطويلة .

([1]) المرجع السابق ص280
([2]) حازم علي كمال الدين : دراسة علم الأصوات ، ص 186

المبحث الثالث: وظيفة التنغيم في تحديد معاني الجمل:

إن التنغيم يعدّ من الظواهر الصوتية المهمة في عملية الفهم والإفهام وتصنيف الجمل إلى أنماطها النحوية والدلالية، وقد كان علماء العربية على وعي تام به إلا أنه لم تظهر في التراث العربي دراسات علمية شاملة لموضوع التنغيم تكشف عن ماهيته وتبين أنواعه ودرجاته، فقد تناول سيبويه شيئاً من التنغيم في باب الندبة قائلاً : (000 اعلم أن المندوب مدعو ولكنه متفجع عليه فإن شئت ألحقت في آخر الاسم الألف، لأن الندبة كأنهم يترنمون بها)([1]) أي كأنهم يعطونها نمطاً خاصاً من التنغيم .

وقد عرف التنغيم حديثاً بأنه مصطلح يدل على ارتفاع الصوت وانخفاضه في الكلام ، وفيه تقوم درجات الصوت المختلفة بدورها المميز على مستوى المفردة أو الجملة والعبارة([2]) .

والتنغيم في اللغة العربية يصاحب الفواصل الصوتية (كالوقفة والسكتة والاستراحة) ، وهو يعد عاملاً مهماً في الإفصاح عن المعاني السياقية في الجمل والعبارات فهو يعين في تحليل التراكيب النحوية تحليلاً دقيقاً لا ينفك عن القواعد اللغوية الصحيحة للتراكيب وما يراد بها من معان([3]).

كما أن التنغيم بأنماطه المختلفة يعدّ عاملاً أساسياً في بيان أن المنطوق مكتمل في مبناه ومعناه أم غير مكتمل ، ويتمثل ذلك بجلاء في الجمل الشرطية ، فجملة الشرط تنتهي بنغمة صاعدة لتدل على عدم اكتمال الكلام ، وأن اكتماله يكون بجملة جواب الشرط التي تنتهي بنغمة هابطة ويعبر عن ذلك كتابة بوجود فاصلة بين طرفي جملة الشرط ، من ذلك قوله تعالى : (مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ)([4]) ، وقد يربط بين طرفي جملة الشرط بالفاء من ذلك قوله تعالى : (وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إلا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلا رَادَّ لِفَضْلِهِ)([5]) .

([1]) سيبويه : الكتاب ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ج2- ص220
([2]) حلمي خليل : مقدمة لدراسة علم اللغة ص 82
([3]) انظر : كمال محمد بشر – علم الأصوات ص 554
([4]) سورة النساء آية 123
([5]) سورة يونس الآية 107

ويشبه الجملة الشرطية في الربط من طرفي الجملة بالتنغيم تلك الجمل التي تحتوي على أدوات الربط مثل : كلما ، لو ، لولا([1]) ، وذلك كما في قوله تعالى: (كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ)([2]) .

وقوله جلّ وعلا : (لَوْلا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ)([3])

وقوله تعالى : (وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً)([4])

فالجزء الأول من الجمل السابقة في الآيات الكريمة ينطق بنغمة صاعدة للدلالة على عدم اكتمال المعنى ، وأن الجزء الثاني منها ينطق بنغمة هابطة للدلالة على عدم اكتمال المعنى ، وأَن الفصل بين أجزاء الجملة هنا يكون على نية الوصل .

ومن أهم الوظائف النحوية للتنغيم ما يأتي :

1 / إن التنغيم يعد أساساً مهماً في التفريق بين أنماط الجمل المختلفة ، فالجمل الاستفهامية في اللغة العربية غالباً ما تنتهي بنغمة صاعدة ، تعد وقفة معلقة تفيد ارتباط السؤال بما يتمه ويكمل معناه ، ويرمز لها في الكتابة بالرمز (؟) بينما تنتهي الجمل التقريرية بنغمة هابطة تعدّ وقفة كاملة تفيد اكتمال الكلام معنى ومبنى([5]) .

فمن الجمل ما يحمل أداة الاستفهام ويتعرف على الاستفهام فيها بالتنغيم إلى جانب الأداة ، وذلك مثل قوله تعالى : (أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمْ الْعِزَّةَ)([6]) .

كما أن هناك جملاً تحتوي على أداة الاستفهام ولكن طريقة تنغيمها لا تدل على الاستفهام ، وهي تعد من الجمل التقريرية ، وذلك مثل قوله تعالى:(هَلْ أَتَى عَلَى الإنسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ)([7]) أي قد أتى على على الإنسان

([1]) انظر : كمال محمد بشر : علم الأصوات –مرجع سابق ص 542
([2]) سورة المائدة 64
([3]) سورة سبأ الآية 31
([4]) سورة التوبة الآية 46
([5]) انظر : كمال محمد بشر –علم الأصوات ص 554
([6]) سورة النساء الآية 139
([7]) سورة الإنسان الآية 1

ومن ذلك أيضاً الشاهد النحوي المعروف في باب النعت :

حتى إذا جن الظلام واختلط جاءوا بمذق هل رأيت الذئب قط([1])

فجملة (هل رأيت الذئب قط) ظاهرها جملة استفهامية فقد منع النحاة الاستشهاد بالجملة الاستفهامية ، فالقول في الشاهد عندهم على تقدير محذوف صفة (المذق) ، والتقدير عندهم (مذق مقول عن رؤيته هل رأيت الذئب قط) .

وعلى ذلك جاء قول ابن مالك في باب النعت :

وامنع هنا ايقاع ذات الطلب وإن أتت فالقول أضمر تصب

إلا أنّ الأمر ليس كما ذهب إليه النحاة فجملة (هل رأيت الذئب قط) ليست جملة استفهامية وإن اشتملت على أداة الاستفهام وهي مقصود بها التفسير والتوضيح وهي أقرب ما يكون للجملة الخبرية ، وإنه من الممكن قراءتها بتنغيم يماثل تنغيم الجمل التقريرية الخبرية وذلك لأن هذه الجملة لا تتطلب الإجابة عليها بنعم أو لا، وإنما هي من قبيل الوصف عن طريق التشبيه فكأنما أراد أن يقول الشاعر فيها:

جاءوا بمذق يشبه لون الذئب([2]) إلا أنه لم يعبر عن ذلك صراحة لظروف قد تتعلق بزمن التكلم أو الحال الذي قيلت فيه الجملة .

وهنالك نوع ثابت من الجمل التي لا تحتوي على أداة الاستفهام ولكن تنغيمها والحال الذي قيلت فيه يلحقانها بالجمل الاستفهامية، من ذلك قوله تعالى: (يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاةَ أَزْوَاجِكَ)([3]) .

فقوله (تبتغي) جملة استفهامية وذلك لأنها تنطق على نمط الجملة الاستفهامية وذلك مفهوم من السياق ولا حاجة لتقدير محذوف .

2 / تحديد أنماط الجمل يقوم التنغيم بتحديد أنماط الجمل المتكافئة صرفياً وذلك على أساس المميزات الصوتية لكل نمط من تلك الأنماط وذلك كما في جملة :

([1]) البيت لراجز مجهول ، وهو من شواهد ابن عقيل وهو الشاهد رقم 288 باب النعت –ج3 ص 199
([2]) انظر : كمال محمد بشر ، علم الأصوات ص 621
([3]) سورة التحريم الآية 1

محمد الصغير

وهي مكونة من : اسم علم + معرفة محلاة بأل

فبالنظر لمكونات هذه الجملة يمكن تحليلها نحوياً على طريقتين :

الطريقة الأولى : أن (محمد) مبتدأ ، و (الصغير) خبر للمبتدأ

الطريقة الثانية : أن (محمد) مبتدأ ، و (الصغير) صفة له وتكون على هذا هي عبارة وليست جملة لافتقادها للإسناد .

فالاحتمالان واردان ، فعند النطق بالجملة بسكتة خفيفة بعد محمد تصحبها نغمة هابطة في كلمة الصغير ، تكون الجملة مكونة من مبتدأ وخبر ، وهي تمثل على النحو التالي :

محمد + سكتة + الصغير + نغمة هابطة

= محمد ، الصغير

أما عند النطق بالجملة بدون سكتة بعد كلمة محمد (أي وصل محمد بالصغير) مع نطق كلمة (الصغير) بنغمة صاعدة ، فإن الصغير تكون صفة لمحمد ، ويتوقع السامع إكمال الجملة بما يتمم معناها .

فالفيصل الوحيد في مثل هذه الأنماط من الجمل هو التنغيم .

أما كتابة فإنه يمكن التفريق بين النمطين بوضع فاصلة بعد كلمة (محمد) في الجملة الأولى للدلالة على السكت([1]) .

وما يعضد هذا المذهب أن علماء العربية ، أجازوا في مثل هذه الأنماط من الجمل دخول ضمير الفصل بين المبتدأ والخبر([2]) .

3 / تحديد معاني العبارات : وذلك في نحو قولهم :

لا أيدك الله (بدون واو)

([1])انظر : كمال محمد بشر ، علم الأصوات ص 614

([2]) انظر : كمال محمد بشر : علم الأصوات ، ص 615

فالتنغيم وحده في مثل هذه الحالات هو الذي يبين أن العبارة دعاء للسامع أم دعاء عليه .

فإذا نطقت هذه الجملة بتنغيم صاعد في كلمة (لا) أعقبتها سكتة خفيفة ، نطقت بعدها عبارة (أيدك الله) بتنغيم هابط فإن العبارة تكون دعاء للسامع ، وذلك للفصل بين (لا) و (أيدك الله) بالسكت ويعبر عن ذلك كتابة بوضع (0) أو فاصلة (،) بعد كلمة (لا) .

أما إذا نطقت العبارة بدون سكتة وبتنغيم مستو فإن العبارة تكون دعاء على السامع لا له ، وفي هذه الحالة لا تظهر أي علامة ترقيم في الكتابة بين طرفي العبارة .

4 / توجيه الإعراب : في كثير من الأحيان يكون التنغيم هو الفارق الذي يعيّن إعراباً واحداً للجملة من بين عدة أوجه إعرابية محتملة ، ويمكن التمثيل لذلك بأمثلة من النعت في النحو العربي ، وذلك كما في قولهم :

مررت بزيد الكريم

فقد ذهب النحاة إلى إمكانية إعراب (الكريم) بأنه نعت تابع لزيد ، وهو في هذه الحالة مجرور بالكسرة ، كما يجوز عندهم في الوقت نفسه إعراب (الكريم) مقطوعاً عن (زيد) تارة على أنه خبر لمبتدأ محذوف تقديره (هو) ويكون في هذه الحالة مرفوعاً ، وتارة أخرى على أنه مفعول لفعل محذوف تقديره (أعنى) ويكون في هذه الحالة منصوباً ، إلا أن الواقع هو تعين أحد هذه الأوجه الإعرابية في هذا المثال لأن ذلك أمر تقتضيه الطبيعة اللغوية فلا يجوز في المثال الواحد إلا إعراب واحد ، وذلك لأن الناطق بهذه الجملة يريد ذكرها في موقف واحد ، فهو إما أن يصلها وينعت زيداً نعتاً حقيقياً (بالكريم) ، وفي هذه الحالة يتعين الجرّ ، أو أنَّ المتكلم بعد إكماله جملة (مررت بزيد) مباشرة يتوهم خلط السامع بين عدد من الزيود ، فيقول بعد سكتة خفيفة (الكريمُ أو الكريمَ) فهو يكون بذا قد توقع سؤالاً من السامع إلا أنه أجاب عليه قبل أن يقع([1]) أمناً للبس

وعليه فإن جملة النعت المقطوع بالأوجه الإعرابية المختلفة الواردة عند النحاة تتطلب ثلاثة مواقف ولا يتعين من تلك الأوجه الإعرابية إلا وجه واحد يرجع إلى طريقة تنغيم الجملة ، فعند وصل الجملة ونطقها بنغمة مستوية يكون الكريم نعتاً حقيقياً (لزيد) وهو في هذه الحالة يكون تابعاً (لزيد) في الإعراب وأنه في حالة السكت الخفيف بعد (زيد) ونطق الكريم بنغمة مرتفعة يكون الكريم مخالفاً (لزيد) في الإعراب في موقفين مختلفين .

([1])انظر : كمال محمد بشر ، علم الأصوات ص 617-618

ويرجع تعين أيّ من تلك الحالات الإعرابية إلى التنغيم وسياق الحال .

ومن أمثلة توجيه التنغيم للإعراب في القرآن الكريم قراءة قوله تعالى : (أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ السَّمَاءُ بَنَاهَا)([1]) برفع (السماءُ) على أنها معطوفة على أشدُّ ، تكون قراءة الآية بسكتة خفيفة بعد كلمة (السماءُ) مصحوب بنغمة صاعدة دليلاً على الاستفهام .

ويمكن تمثيلها كما يأتي : (أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ السَّمَاءُ ؟ بَنَاهَا) كما أنه يجوز في اللغة قراءة الآية بنصب (السماءَ) على الاشتغال ، والوجهان صحيحان . والقراءة بالنصب تكون على أن (السماءَ) مفعول به لفعل محذوف يفسره المذكور بعده، وفي هذه الحالة تكون قراءة الآية بسكتة خفيفة بعد كلمة (خلقاً) مصحوبة بنغمة صاعدة للدلالة على عدم اكتمال الكلام ، ويمكن تمثيلها كما يأتي :

(أأنتم اشد خلقاً، أم السماءَ بناها ؟) وعليه تكون الآية كلها استفهاماً([2]).

ومما سبق يتضح أن للتنغيم دوراً مهماً في الفصل في القضايا الإعرابية متعددة الوجوه عند النحاة، وأن اعتبار التنغيم فيصل في تعيين وجه واحد من تلك الأوجه المتعددة يكون أنفع وأجدى في الدراسة النحوية بدلاً من التقديرات الذهنية التي لا تمت لواقع اللغة بصلة، وذلك لأن اللغة المنطوقة سابقة للغة الكتابة.

([1]) سورة النازعات الآية 27
([2])انظر : كمال محمد بشر ، علم الأصوات -ص 561-562

المبحث الرابع: وظيفة التنوين في بناء الجملة:

للتنوين دور مهم في التفريق بين الجمل من ناحية الزمن، فهو علامة فارقة تخلص اسم الفاعل في الجملة للمستقبل، ويتضح ذلك بجلاء في الفرق بين قولهم (أنا قاتلُ ابنك) و (أنا قاتلٌ ابنك) بتنوين (قاتلٌ)، فالجملة الأولى تدل على أن الحدث كان في الماضي، أما الجملة الثانية فتدل على أن الحدث سيقع مستقبلاً أي (سأقتل) ([1]).

ومن أمثلة ذلك في القرآن الكريم قوله تعالى : (وَلا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا إِلا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ)([2]) فلو لم يكن التنوين في كلمة (فاعلُ)

يدل على المستقبل لما جاز بعده مجئ كلمة غداً.

ومن كل ما سبق يتضح بجلاء الدور الذي تقوم به الأصوات في التحليل النحوي، وتحديد أنماط الجمل والتفريق بينها.

([1]) انظر:نهاد تكريتي:المرجع الكامل في جميع مواد اللغة العربية وشواهدها –دار دمشق للطباعة و النشر –ط1-1989م ص 369

([2]) سورة الكهف ، الآيات (23-24)